

الترقيم الدولي: ١٥٩٦ - ٣٩٣٤

المجلد الثاني. العدد السادس ٢٠١٣م



مجلة اللسان

تصدر عن جمعية مدرسي

اللغة العربية وأدبها في نيجيريا (نتال)

NO. 9

page 54-71

٢٠١٣/٥١٤٣٥م

9. الشيخ يوسف أبوبكر الأبهجي وفلسفته التربوية في الحفاظ (Kankawi, U.I. & Balogun K.S. (2013): Shaykh Yusuf Abubakar Agbaji and his Educational Philosophy on Arabic Education in Nigeria). **AL- LISAN Journal** .Vol. II, No. VI, ISSN: 1596-3934, Pp.54-71. Published by The Nigeria Association of Teachers of Arabic Language & Literature (NATALL).

الشيخ يوسف أبوبكر الأبهجي وفلسفته التربوية في الحفاظ على التعليم العربي في نيجيريا

٥٤

الشيخ يوسف أبوبكر الأبهجي وفلسفته التربوية في الحفاظ على التعليم العربي في نيجيريا

د. عثمان إدريس الكنكاوي
وبلوغن كامل الدين

مقدمة:

للشيخ يوسف أبي بكر الأبهجي مؤسس ورئيس زمرة المؤمنين في نيجيريا، آراء تربوية وفلسفة تعليمية نحو الحفاظ على التعليم العربي في الجنوب الغربي بنيجيريا، وأثرت هذه الآراء الفلسفية التعليمية في كثير من طلبة اللغة العربية في نيجيريا. فهذا البحث يهدف إلى عرض ومناقشة تلك الآراء الفلسفية التعليمية، يستفاد من خلالها وضع هذه الجماعة التعليمية في الماضي والحاضر. وفي المبحث الأول نبذة تاريخية عن الشيخ يوسف الأبهجي، والثاني في قصة التعليم العربي في جنوب غربي نيجيريا (بلاد يوربا) بينما يأتي المبحث الثالث في عرض ومناقشة آراء جماعة الزمرة في فلسفة التعليم العربي في نيجيريا.

المبحث الأول: نبذة تاريخية عن الشيخ يوسف أبي بكر الأبهجي

هو الشيخ يوسف أبي بكر الأبهجي الذي شهد نور الحياة في ١٨٦٨م بواسطة أبوين شريفين: الشيخ أبي بكر والحاجة حسينة في بيت أدرا، بحي أمهي، حارة أجيكوبي في مدينة إلورن، ولاية كوار. وينتمي أسرته إلى أشهر ملوك السنار عاصمة الفونج في السودان. نشأ الشيخ بمدينة إلورن وبها ترعرع وصدقت عليه بيتها فكانت ولادته سعادة كبيرة لبني جلدته وأهل بلدته. وعلى الرغم من أن الشيخ يوسف هو سابع أولاد أبيه وهم:

الشيخ محمد جامع بابا زاوية، والشيخ صلاح الدين، والشيخ عبد السلام، والشيخ محمد سنن، والشيخ مقداد، والشيخ عثمان ديكو، والشيخ عبد القادر أيندي، ومع ذلك فقد قدر الله أن يكون هو رهن الإشارة والمختار المصطفى، ذلك أن علامة النجابة ظهرت عليه منذ الصغر ودلائل المهارة اتضحت فيه في حال حياته.

تعلم الشيخ يوسف قراءة القرآن على يد الشيخ السنوسي في بيت بابا سري ثم اشتغل بالتدرب على حرفة توشيع الثياب. وله في هذه الحرفة إجادة ممتازة أتاحت له وفرة التدربين على يده المباركة والشيخ في حال مزاولته للحرفة لم يعرف من علم الدين سوي قراءة القرآن ومع ذلك لم يزل ممن ابتلاه الله بالحلب الزائد للعلم والعلماء، فكان يشتري من الكتب العربية ما تيسر له إلى أن حقق الله حلم أبويه، وذلك في لقاءه مع الشيخ زكريا (تاج المؤمنين) الإلوري المتوفي في عام ١٩٣٥ بسبب صديقه الحميم الشيخ بدر السدين أسكوتي الأجهجي. وقيل إن الشيخ تاج الأدب قد بشر الشيخ زكريا تاج المؤمنين بقدوم الشيخ يوسف عليه. ولما قدم الشيخ يوسف تم سرور الشيخ تاج المؤمنين. وعند هذا الشيخ أخذ الشيخ يوسف جميع ما ناله من العلوم العربية والإسلامية، أصبح بها عالما معلما وداعية مثاليا ومربيا شقيقا، أفرغ رمة حياته في التعليم الذي بدأ أولاً بمدينة إلورن ثم في إبادن ثم أبيكوفا وفي كثير من بلاد يوربا^٢ وتعلم على يده أفواج من تلاميذه. ومن الفوج الأول: الشيخ عبد السلام بامديلي والشيخ زبير أرارومي وغيرهما. ومن الفوج الثاني الشيخ حمزة إيامورن والشيخ عبد الغني أكجي. ومن الفوج الثالث الشيخ يحي بابا سري والشيخ حسين بن عثمان وغيرهما. ومن الفوج الرابع الشيخ عبد الكريم أدارا والشيخ عبد الرحيم أدارا. ومن الفوج الخامس الشيخ عبد الرحمن (تقوى الله أفضل) والشيخ عبد السلام صاحب القرآن وغيرهما. ومن الفوج السادس الشيخ مسعود أولوكنلا والشيخ مسعود بابا سري

وغيرهما. ومن الفوج السابع الشيخ محب الدين والشيخ محمد جامع أجبولا وغيرهما. ومن الفوج الثامن الشيخ عبد الله بأودُن بامديلى والشيخ عبد الرحمن أدارا وغيرهما.^٤ رزق الشيخ بأولاد حملوا لواء دعوته بعده ونشروا فكرته، وهم من الذكور الشيخ زكريا والشيخ داؤد والشيخ عبد الله وهو الخليفة الحالي والشيخ عبد الرحمن والشيخ محمد الأول أولًايمكا والشيخ أحمد والشيخ محمد مصطفى والشيخ محمد الثاني. وأما البنات فهن: السيدة ميمونة وحليمة وحسنة ورابعة وآسية وحبيبة وسلمة وخديجة ورقية وعائشة. لقد استطاع الشيخ بالإيجاب الكثير بحزمة زواجه أربعاً من صالحات مؤمنات وهن ميمونة وأسماء وفاطمة وشفاء. هذا وللشيخ تاريخ مذهب في إنشاء جماعة مسلمة ورابطة علمية أفرغت جميع أنفاسها في سبيل إحياء علوم الدين والعربية والدعوة إلى الخير والسداد. ومكانة الشيخ بين العلماء القدامى والمعاصرين غير محدودة يتمتع بها أتباعه اليوم في كافة بلاد يوربا وغيرها، وتوفي ١٩٧٩-٣-١٩.

المبحث الثاني: التعليم العربي في بلاد يوربا

تقع بلاد يوربا في غرب إفريقيا، وتمتد من حدود جنوب نهر النيجر شمالاً وشرقاً وإلى المحيط الأطلسي جنوباً وحدود الداهومي غرباً.^٥ وتحد في الجنوب الشرقي قبيلة أيدو وفي الجنوب الغربي تری شعب (غى) أمثال أيغن، وفن، وأورى. وفي الشمال الغربي قبيلة برغو المشهورة ببربا ويورغلوا. وفي الشمال قبائل نوئي، أما الشمال الشرقي فقد اتخذها قبسة إغالا ومن لف لفهم. مسكناً ولقد انتشرت القبائل اليورباوية في أفريقيا وخارجها نتيجد تارة العبيد والامتداد الثقافي، فتجدهم في جمهورية بينين (دهومي سابقاً) وبلاد توغو وسيراليون والبرازيل وكوبا وكوستاريكا وترنداو وتوبغو. وتوجد قرية يورباوية اليوم في أميركا، تدعى قرية أووئنجي الإفريقية لها ملكها اسمه أسيجمن أديتنجي الأول.^٦

وفي القديم تعرف يوربا في بلاد كوبا بعدة أسماء منها أولكامي ولُكومي المنحرف من كلمة (Olukumi) بمعنى صديقي الحميم، كما عرفت باسم أكو (Aku) المشتق من تحتها اليورباوية وهذا الاسم كانت تسمى في سيراليون.^٧

يعود تاريخ دخول العربية إلى بلاد يوربا إلى وقت دخول الإسلام فيها. فكانت اللغة العربية هي الوسيلة لضبط تاريخ البلاد اليورباوية وتدوينه، إذ دون أول ما دون من تاريخ بلاد يوربا باللغات المحلية المكتوبة بالحروف العربية، وقد اعترف بذلك الأسقف جونسن في كتابه "تاريخ اليوربا" حين قال إن اليوربا قبل وصول الإنجليز سجلوا أفكارهم بالحروف العربية.^٨ وكانت اللغة العربية رسمية في بعض البلاد في بلاد يوربا^٩ ولقد أرجع الشيخ آدم الإلوري أصلهم إلى يعرب بن قحطان واستدل على صحة قوله بما يوجد لدى يوربا من آثار الفن الفرعوني من المسلة الحجرية وتمثال الرؤوس المصورة من الخزف وبعضها من النحاس وبعضها من الحجارة، ومنها تلك الكتابات الهيروغليفية وطريقة التقدير وتدوين موتاهم ونحو ذلك مما يثبت العلاقة بين سكان إلفي التي هي الميقات الأصلي لليوربا وبين المصريين القدماء.^{١٠}

ويعود فضل دخول اللغة العربية في بلاد يوربا إلى أولئك الدعاة والصوفية والتجار من البرناوين والهوسوين الذين نشروا الإسلام وثقافته في البلاد، كما يرجع فضل انتشارها في بلاد يوربا إلى الشيخ تاج الأدب وجماعته الأدبيين، والشيخ يوسف الأهمجي وجماعته زمرة المؤمنين (أصحاب العمائم الكبيرة)، والشيخ أحمد الرفاعي بلو، والشيخ مدثر عبد السلام والشيخ مرتضى عبد السلام والشيخ عبد الرزاق عبد الرحمن وغيرهم.

وتبرهن على نهضة العربية في بلاد يوربا بوجود مدارس عربية، أهلية وحكومية ذات مراحل إعدادية وثانوية مثل المعاهد الأدبية في إلورن، ودار العلوم لجهة العاصمة في إلورن، ومركز التعليم العربي، ودار الإرشاد والإسعاد في لاغوس، والمعبد العربي

الإسلامي في إبادن، ومدرسة النهضة العربية في إبادن والمركز الإسلامي الثقافي إضافة إلى ما فيها من النشاطات الحية في تأليف الكتب العربية. وليس من المعتبر ما ذهب إليه بعض الباحثين من تقليل شأن بلاد يوربا للتعليم العربي، أمثال الدكتور أحمد غلادنتي في "حركته" حيث جعل نيجيريا موقع بحثه الجغرافي ونسي تلك المجهودات التي قام بها أولئك العلماء قديما وحديثا نحو تطوير اللغة العربية وثقافتها في بلاد يوربا. ولا غرو في ذلك إذ قد استهان كاتب عربي اسمه الشيخ محمد مصطفى بمكانة علماء نيجيريا العلمية فقال إنه وجدهم على الجهل، فرد عليه الشيخ آدم الإلوري في "نحات البلور"^{١١} وهكذا أفضى مثل هذا البلاء إلى إهانة جهود زمرة المؤمنين نحو العربية وثقافتها في بلاد يوربا خاصة وفي نيجيريا عامة.

المبحث الثالث: آراء الشيخ يوسف الأبهجي التربوية في فلسفة التعليم العربي

أولاً: كراهية النظام الحديث في التعليم الإسلامي

كانت نيجيريا من الدول التي تتمتع بالعدد الكبير من المسلمين، ولقد ملكها الحكم الإسلامي الذي اتخذ اللغة العربية لغة رسمية للتخاطب والمراسلة قبل الاحتلال البريطاني. ولما جاء الاستعمار الإنكليزي كدر مياهاها وجعل أعزة أهلها أذلة، ذلك أنهم فتنوا العربية ومدارسها ورصدوا لها من كل مكان للقضاء على الإسلام والمسلمين. ففي أول الوهلة بدعوا يعادون العربية بالغزوات العسكرية، ولما فشلوا في ذلك لجأوا إلى الغزوات الفكرية التي كانت أخفى الأسلحة التي يحارب بها الأعداء^{١٢}، فهذه الغزوات الغربية للإسلام والعربية هي السبب في كراهية بعض العلماء للتعليم الإنجليزي. فإنه لا يغيب عن كل باحث محقق أن زمرة المؤمنين كانوا من بين أولئك العلماء الذين قاوموا فكرة الغربية والتغريب وأظهروا كراهيتهم للتعليم الإنجليزي والتعليم العربي الحديث المشابه بالنظام

الإنجليزي. والعلماء في هذا الإطار الذي يمج كل ما يمت صلة بالرأي الإنجليزي في التعليم على ثلاثة أصناف؛ الصنف الأول هم الذين كرهوا التعليم الإنجليزي وارتضوا بالنظام الحديث في التعليم العربي مثل الشيخ آدم عبد الله الإلوري الذي بنى مركزه تابعا في منهجه التعليمي النظام الحديث في الوطن العربي وامتنع من التعليم الإنجليزي. والصنف الثاني رحبوا بالتعليم العربي على النظام الحديث واستحسنوا التعليم الإنجليزي فكانت المواد العربية والإنجليزية تدرسان في مدارسهم مثل الشيخ كمال الدين الأدي الذي أخرج التعليم العربي من الظلمة والتعليم الإنجليزي من الظلم. والصنف الثالث رأوا أن الشر كله في التعليم الإنجليزي والتعليم العربي الحديث. وأبرز الجماعة الذين استأثروا هذا الرأي هم زمرة المؤمنين وغيرهم من أكابر العلماء في هذه الديار. فلولا جهود الشيخ كمال الدين الأدي لما وجدنا أمثال البروفيسور زكريا حسين الذي تعلم عند الشيخ خضر صلاح الدين أبو كفي والبروفيسور موسي أحيثنمائي في حقل الدراسات العربية والإسلامية. ولولا جهود الشيخ آدم عبد الله الإلوري لما ظفرتنا بأمثال البروفيسور عبد الباقي شعيب أغاكا والبروفيسور المرحوم عثمان شعيب بالوغن على مناص الدراسات العربية والإسلامية. ولولا جهود زمرة المؤمنين لضاع قسط كبير من التراث العربي العتيق في هذا الوطن العزيز. وأرى أن الرأي الذي ذهب إليه زمرة المؤمنين في مقاومة التعليم الإنجليزي وكراهية النظام الحديث في التعليم العربي، ليس رأيا مبتكرا من عندهم، فقد سبقهم إلى ذلك أغلبية علماء شمال نيجيريا في القرون الماضية، ذلك أنهم رأوا أن الحكم البريطاني إذا أوتي الفرصة للحكم سيعير بنجله ورجله على الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتعليمية، فقاوموا غزواته الفكرية والعسكرية بكل ما عندهم من القوة. وذلك النجاح الذي ناله الحكم البريطاني نتيجة الحكم غير المباشر كان بلا أدنى شك كارثة كبيرة للعلماء، وتصور ذلك هذه القصيدة التي يبكي فيها الشاعر الوزير الجنيد على تغير الأحوال حيث قال:

صارت مراتع للوحوش بعيد أن ** كانت مقاصد حاضر أو ساد
أقوت فلست ترى بها أحداً سوى الـ ** حرباء لائذة على الأعواد
لما سكت دنت إلى حمامة ** مغبرة تبدو كلون رمادي
فسألتها أين الذين عهدتهم ** قالت لقد بلغوا على الميعاد
قلت احبريني من تخلف بعدهم ** قالت تخلف دولة الأكراد
مالي أري دول الكرام وضبعة ** قالت علتها دولة الأوغاد
فسألت ما خلق الذين تخلفوا ** قالت ذوو فحش ذوو أحقاد^{١٣}

إن دلت هذه الأبيات على شيء فإنها تدل على مدي أحزان الشاعر وأمثاله على
دخول المستعمرين إلى هذه البلاد فكفى عنهم بذوي الفحش وذوي الأحقاد بل دولتهم
دولة الأوغاد ودولة الأكراد.

وفي مدينة إلورن التي نشأت فيها فكرة أصحاب العمائم نرى بعض علمائها
يعارضون التعليم الإنجليزي ويجعلونه حراماً على أبنائهم، وهم أمثال الشيخ أبي بكر أو مامي
صوّرو الغميري، والشيخ ألفا كورزو، الأمر الذي أدى بهم إلى تحريم استخدام المخترعات
الحديثة مثل التلفزيون والسيارة وغيرهما. فشان زمرة المؤمنين في تحريم التعليم الإنجليزي
والتعليم العربي تحت النظام الحديث كشأن غيرهم من العلماء القدامى، وموقفهم هذا مبني
على إيمانهم الثابت بأن التعليمين الغربي والعربي الحديث من ثقافات الغرور. وقد جعلوا
هذه الكراهية وصية يتواصون بها كباراً عن كبار. والحمد لله أن ذمهم للتعليم العربي
الحديث والتعليم الإنجليزي لم يتعد إلى إعدام النفوس كما وقع في بعض البلاد الشمالية على
يد جماعة محمد يوسف البرناوي الذي بدأت حركته منذ ٢٠٠٢م وعم بلاءها جل البلاد
الشمالية النيجيرية.^{١٤}

ولعل احتكاك زمرة المؤمنين بغيرهم هو السبب العامل في تراجع بعضهم اليوم عن موقفهم.^{١٥} ذلك أن الناس يقيمون عليهم الحجة بأنهم جعلوا التعليم الإنجليزي حراماً على أنفسهم وأهلهم، ومع ذلك كانوا أعواناً لرؤساء الدولة وأغنيائها الذين يقولون بالإنجليزية ويأكلون بها، فلو كان التعليم الإنجليزي حراماً فكل ما يحصلون عليه من الدوائر الحكومية والسياسية من الأرزاق يكون حتماً حراماً، ومن ثم يجب الابتعاد عنهم فلا يدعون إلى المناسبات الدينية.

ثانياً: التعليم بدون الأجور

التعليم هو بناء الفرد ومحو الأمية في المجتمع وهو المحرك الأساسي في تطور الحضارة ومحور قياس تطور بناء المجتمعات البشرية، وهو بلا أدنى شك استثمار للغد بل من مجالات الدعوة العظيمة لكونه ميراث النبوة، وكثيراً ما يردد القرآن نعت الأنبياء به خاصة خاتمهم صلي الله عليه وسلم، ومنه قوله تعالى: "ويزكيهم ويعلمهم الكتاب"^{١٦} وقول الرسول الكريم صلي الله عليه وسلم: "إنما بعثت معلماً".^{١٧}

فالتعليم بدون الأجر ظاهرة من الظواهر القديمة، اتصف بها الأنبياء، لا سيما نبينا محمد صلي الله عليه وسلم، وقد ذكر القرآن في أكثر من عشرة مواضع قيام النبي بالدعوة الإسلامية التي كان التعليم من دعائها ومدي نفيه صلي الله عليه وسلم اتخاذ الأجور، ومنه قوله تعالى: "وما سألتهم عليه من أجر إن هو إلا ذكر للعالمين"^{١٨} فاقتدى الصحابة الكرام بالنبي في هذه الظاهرة الكريمة فسلوكوا مسلك الاحتساب بالتعليم، ثم جاء من بعدهم السلف الصالحون فاقتفوا آثارهم في ذلك أمثال أبي عبيدة، والجاحظ، وسيبويه، والأخفش الكبير، والصغير، والمبرد، والخطابي، والرّماني، والباقلاني، والجرجاني، والزجاج، والنحاس، والإصفهاني، والسيوطي، وابن فودي وأخيه عبد الله، وتاج الأدب، وتلميذه محمد كمال الدين الأدي، ونماحي الكنوي، وتلميذه آدم الإلوري.

نفيدنا المصادر التاريخية أن التعليم في العهد الفودي وما قبله غير مترتب على أحوال من الطلبة وأوليائهم، وما كان العلماء منتظرين رواتب شهرية من أية جهة كما هو معروف اليوم، بل هو مقابل حبس الإمام نفسه لذلك العمل أو تفرغه له بل من القرى المحضة المتعدية النفع إلى أفراد المجتمع،^{١٩} مع علمهم بأن أخذ الأجور ليس من منتهيات الشرع.^{٢٠}

وهكذا ارتفعت روح زمرة المؤمنين المعنوية في التعليم فكان هو أحب الأعمال لديهم وأجل الأشغال عندهم، فكانوا لا يتخذون عليه أجراً من أيدي الطلبة ولا من جيوب أوليائهم، ولكن كان مشايخ الجماعة يشغلون التلاميذ في المزارع والمراعي والمصانع الخفيفة، وكل ما أوتي التلاميذ في المناسبات الدينية فهي لشيوخهم. وهذا التورع من أخذ الأجور في عمل التعليم لا يمنعهم عن مطالبة التلاميذ بالزاد الذي يعتمدون عليه على مدار الساعة. ولقد نبئت هذه الفكرة من زمرة المؤمنين نتيجة رجاء الثواب من الله واستكراه الأسلوب الحديث الذي خطط الرواتب الشهرية للمعلمين. ذلك أنهم يرون في ذلك مصيبة للمعلم قد تتعدى إلى انقطاع العلاقة بين الطالب وأستاذه، والحقيقة أن أولياء الطلبة يفيدون بالهبات على هؤلاء العلماء ويرتضون بها إن قلت أو كثرت.

ثالثاً: التفاني في خدمة العلم وشيوخهم

الخدمة عامة والسدانة خاصة للكعبة،^{٢١} وهي أيضاً المهنة^{٢٢}، والقتو هو حسن الخدمة يقال يقتو المملوك بمعنى يخدمهم^{٢٣}، والفرق بين الخدمة والطاعة هو أن الخادم هو الذي يطوف على الإنسان متحققاً في حوائجه، ولهذا لا يجوز إن يقال أن العبد يخدم الله تعالى فأصل الكلمة الإطافة بالشيء. ومنه سمي الخلخال خدمة ثم كثر ذلك حتى سمي الاشتغال بما يصلح به شأن المخدم خدمة وليس ذلك من الطاعة والعبادة في شيء. ألا ترى أنه يقال فلان يخدم المسجد إذا كان يتعمد بتنظيمه^{٢٤} وأهل الخدمة عند الصوفية هم

قوم أقامهم الله لخدمته واختصهم بحبته^{٢٥} وأهل الخدمة عند أهل الحكمة يستدلون بظهور الستور على وجود النور بالخلق على وجود الحق، غابوا عنه في حال حضوره وحجبوا عنه بشدة ظهوره^{٢٦}. فإن زمرة المؤمنين كانوا يشاققون إلى الخدمة ويظهرونها ويقصدون بها الاستتباع والطاعة لشييوخهم. وطريقة خدمتهم لشييوخهم لا تبعد عن مفهومها عند الصوفية وذلك من جانب التفاني في الخدمة. ومن آداب الخدمة عند هذه الجماعة الفناء عن رؤيتها مع المبالغة فيها وفي هذه الفكرة بجانب مع ما تدعو إليها الصوفية^{٢٧}.

ويقول الشيخ سلمان الداراني: "من رأي لنفسه قيمة لم يذق حلاوة الخدمة"^{٢٨} ولقد أنزلت هذه الجماعة الخدمة مقام الحرمة التي بتعزيزها وصل من وصل وبتتركها سقط من سقط، حسب ما يرشد إليه الشيخ الزرنوجي في كتابه^{٢٩}.

إن كتاب الزرنوجي - بلا أدنى شك - هو معجم الأخلاق الذي يستمدون منه طريقة الخدمة، وإن كان الناس ينتقدونهم في بعض الأمور المتعلقة بهذا الموضوع، منها أنهم يشددون على خدمة الشيوخ ويلعنون على تركها، إذ الخدمة عندهم هي إرضاء الشيخ بكل ما يريده ويكون الطالب كالميت أمام غاسله. وهذا الموقف الذي اتخذوه لمفهوم الخدمة قد أوقع بعض التلاميذ في ارتكاب المعاصي والجرائم خوفاً من ترك خدمة الشيخ وحباً لمسيرة الأصحاب عند الانفاق.

رابعاً: لباس العمامة

وأما العمامة عند زمرة المؤمنين (أصحاب العمام الكبيرة) فتختلف عن سائر العمام من حيث التلفيف والتكوير والغرض. والعمامة هي أكبر الميزة لهؤلاء الجماعة بل هي أظهرها، لذلك ترى كثيراً من الكتاب في هذه الديار يطلقون عليهم اسم أصحاب العمام الكبيرة مثل الشيخ الإلوري في محات البلور في مشاهير علماء إلورن^{٣٠} والشيخ

الحاج إبراهيم سلمان أكي بن مفتي الدين الأدبي في "قاموس الأدبية"،^{٣١} والشيخ عبد اللطيف أحمد أديكيلكن في كتابه: "آثار الشيخ اللبيب تاج الأدب وكبار تلاميذه شعراً ونثراً"^{٣٢} والأستاذ محمد ثوبان بن آدم عبد الله الإلوري في كتابه: "ذكر من جابوا إلى أرض إيجيو"^{٣٣}. وقد سلك هذا المسلك كثير من الباحثين المعاصرين بإطلاق الاسم نفسه عليهم، ومن هؤلاء الأستاذ الدكتور عبد الرشيد أجي راجي في بعض مقالاته الأكاديمية المنشورة في إحدى المجلات الدولية^{٣٤} وغيرهم من الباحثين الجامعيين.

هذا، فإنهم يلتزمون العمامة في حلهم وترحالهم وهي بمثابة الشعار عندهم مع الاعتقاد بأن التلاعب بها يعني المروق من الجماعة وسوء الأدب إلى نزعتهم المقدسة. ولقد أفادتني المقابلة الشخصية التي أجريتها مع بعض شيوخ الجماعة حول قضية العمامة، بأن موقع الشيخ الأكبر المؤسس للجماعة من العمامة يخالف ظنون بعض الناس الذين لم يسعوا في طلب حقيقة الأمر عن الجماعة في قضية العمامة، ذلك أن الشيخ الأجهجي كان في حال حياته (رحمه الله) يعتم عمامة مخنكة ذات الأكوار المتوسطة والذوابة الواسعة والعذبة المرسلة على الصدر بدون التزام لون من الألوان. وكان يلتزم هذا الشكل في جميع المناسبات الدينية، إلا أنه ينزعها عند التزهد. وطولها لا يجاوز خمسة عشر ذراعاً.

هذه هي الصورة الحقيقية للعمامة عند زمرة المؤمنين وهي على الشكل الذي تتخذه عنده شيوخهم، أما التلاميذ فتراهم في عمامة مخنكة، وتارة في حالة الاقتعاط، ومن العسير أن ترى في أوساطهم العمامة الصماء. وسمعت ممن أثق بخبره من كبار شيوخهم أن قضية تكبير أكوار العمامة ترجع إلى تقرير الشيخ يوسف الأجهجي على صنيع أشهر تلاميذه الشيخ عبد السلام بامديلي (رحمه الله) الذي كانت منزلته عند الشيخ الأجهجي كمنزلة سيدنا عمر عند رسول الله المصطفى صلى الله عليه وسلم. وذلك أن الله كان يوافق عمر رضي الله عنه في بعض أمور الدين في العهد النبوي فأطلق العلماء على هذه الموافقات اسم

أوليات عمر بن الخطاب، ومن تلك الأمور قوله أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم لتتخذ مقام إبراهيم مصلى فوافقه سبحانه وتعالى بقوله في محكم تزييله: "فاتخذوا مقام إبراهيم مصلى".

فإنه ثبت في تاريخ نشأة العمام الكبيرة وانتشارها لدى الزمرة المؤمنين، أن الشيخ عبد السلام بمديلي كان له حظ الاحتكاك ببعض العرب من السودان (أصحاب العمام الكبيرة) فأعجب الشيخ بشكل عمامهم ثم استحسّن منهمجهم في التعميم، فهكذا ذهب بمنثل هذا الشكل إلى الشيخ الأهجي مستفتياً عن موقع الإسلام، ومستأذناً في الإمضاء على التمادي في استعمالها، فأقرها الشيخ الأهجي وأصبحت العمامة الكبيرة -بركة الشيخ- شعاراً مشهوراً وميزة كبيرة، لها محلها عند الإعراب. ومن أعمالهم الأدبية في العمامة ما ألفه أحد كتابهم في فضائل العمامة المحنكة وهو "البيان الوجيز في إثبات حكم العمامة المحنكة" جمع وترتيب الحاج أحمد أولاليكن مرتضى. ولعله من الجدير بمكان الإشارة إلى موقع العمامة ومترلتها لدى زمرة المؤمنين في نيجيريا، وذلك بالالتفات إلى بعض أغاني "واكا" التي قرضوها وهي عندهم وسيلة هادفة إلى بيان موقفهم وتكثير سواد سامعي مواعظهم ومنها:

Ninu Ijo tinbelaye,
Ijo Sumuratu loyato,
Kako moni kewu akoyanju,
Kasiwe lawani tewetagba,
Kasi darungban si kaha yawo wa.

معناه:

لزمرة المؤمنين فضل عظيم على غيرهم في العالم لامتيازهم في التعليم الناجح للناس، والتزام العمامة للصغار والكبار، وإطلاق اللحية، واحتجاب أزواجهم. ومن ذلك أيضا قولهم:

Onilawani kija,
Tobadija Kabo lawani le kanarawa

معناه:

لا تخاصم الجماعة المتعممون الناس، أما في حالة الاضطراب فهم يضعون العمامة. أما اليوم، فإن قضية لبس العمامة عند شباب الزمرة قد أصبحت شعارا يستخف به أكثرهم، ولعل السبب في ذلك يعود إلى اعتقادهم الجديد في العمامة أو الاحتكاك الاجتماعي الذي كان يحصل بينهم وبين غيرهم من هواة العلم. وحتى اليوم لا تزال صورة عمامة الجماعة محل الإعجاب عند بعض الناس ومحل الاستهزاء عند الآخرين.

خامساً: إطلاق اللحية

اللحية هي الشعر الذي ينبت في الذقن والخددين، وقد تظهر خفيفة عند بعض النساء، وهي ظاهرة يشترك فيها الناس وبعض الحيوانات، وهي عادة من أمارات البلوغ عند الرجال ضمن عدة أمور أخرى مثل نمو شعر العانة والإبط وخشونة الصوت. ويرجع نمو اللحية إلى الهرمونات الذكرية المسماة بالأندروجين المسؤولة عن اكتساب صفات الذكورة مثل الصوت العميق وبروز العضلات. وفي إطلاق اللحية دلالة واضحة على الحكمة أو الرتبة العالية أو القوة الجنسية وفي بعض الأحيان تدل على قلة النظافة والفظاظة. وتعتبر اللحية من الأمور الهامة في الأديان السماوية اليهودية والنصرانية والإسلامية ذلك أن الأنبياء كانوا من أشهر الشخصيات الملتحية أمثال النبي موسى، والنبي عيسى والنبي الأعظم محمد صلوات الله عليهم أجمعين^{٣٥}. وقضية اللحية لم تنزل من الأمور

إقامة ذات اختلاف العلماء وقد ينحصر الاختلاف في ثلاثة أقوال، الأول: تحريم خلق اللحية عند جمهور العلماء الحنفية والمالكية والحنابلة وبعض الشافعية، والثاني: كراهية خلق اللحية لدى جمهور الشافعية وبعض المالكية وبعض المعاصرين مثل الشيخ القرضاوي وغيره. الثالث: استحباب إعفاء اللحية عند بعض الحنفية المتأخرين وبعض المعاصرين مثل الشيخ جاد الحق شيخ الأزهرى السابق.^٣ ومهـ. يمكن من أمر فإن اللحية قد أصبحت مظهراً مكملًا لكثير من الحركات الثورية من القرن العشرين.

إن زمرة المؤمنين في نيجيريا من أشهر الجماعات الإسلامية في نيجيريا حفاظاً على إطلاق اللحية، وهم كغيرهم في العالم مثل الشيوعيين واليساريين والراديكاليين، الذين جعلوا اللحية جزءاً أساسياً من المظهر. وموضوع اللحية عند علماء زمرة المؤمنين مقرون بالاختلاف، فكثير من علمائهم القدامى كانوا يوجبون إطلاق اللحية ويحرمون حلقها تبعاً لأقوال جمهور العلماء الحنفية والمالكية والحنابلة وبعض الشافعية، فقد كان الشيخ المؤسس للجماعة يوسف أبو بكر الأجهجي في حياته ملتصقاً وكان يأمر بها، وتبعه في ذلك كثير من تلاميذه مثل الشيخ عبد السلام عبيدي وغيره. وأما المعاصرون بينهم فمنهم من جعل إعفاء اللحية في دائرة الاستحباب وحلقها مكروه. وعلى كل حال فإن اللحية من أهم المظاهر الإسلامية والشعائر الدينية التي يدين بها زمرة المؤمنين ويحسبونها حلة إن لم يحلل عن الظلمة، ويذمون على تركها والاستحفاف بها.